يا حبّذا محمّد مِنْ جَارِ

وهكذا دخل المصطفى ﷺ وصاحبه المدينة بثياب بيضٍ ، ونزلوا في قباء ، وذلك في الثاني عشر من شهر ربيع الأول يوم الاثنين.

بينما تلاحق المسلمون بالنبي ﷺ ، أي: تتابعت الهجرة من مكة إلىٰ المدينة ، مثل هجرة عليّ رضي الله عنه ، وصهيب بن سنان رضي الله عنه.

وفي قباء أسس المعصوم ﷺ مسجد قباء ، وقال فيه: «من توضّأ فأسبغ الوضوء ، ثم عمد إلىٰ مسجد قباء لا يريد غيره ، ولا يحمله علىٰ الغُدوّ إلاّ الصلاة في مسجد قباء ، فصلّىٰ فيه أربع ركعاتٍ يقرأ في كل ركعةٍ بأمّ القرآن ، كان له كأجر المعتمر إلىٰ بيت الله»[1].

وفي يوم الجمعة ارتحل الوفد النبوي إلىٰ المدينة التي نوّرها الله سبحانه بأنوار روح الوجود محمد ﷺ ، وكانت فرحة أهل المدينة باستقباله صلوات الله عليه لا تعدلها فرحة في الكون ، حيث خرجت جَوارٍ من بني النجّار يضربن بالدفوف وهنّ يقُلن:

نحنُ جوارٍ من بني النجّار يا حبّذا محمدٌ منْ جارِ

فنظر إليهن رسول الله ﷺ وقال: «أتحبّوني؟» فقالوا: أيْ والله يا رسول الله ، قال: «أنا والله أحبُّكم ، وأنا والله أحبُّكم ، أنا والله أحبّكم»[2].

وجعل النساء والصّبيان يقُلن في استقباله صلوات الله عليه:

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع وجبَ الشّكر علينا ما دعا لله داع

---

(١) رواه الطبراني (مجمع الزوائد للهيثمي: ١/ ١١٤).

(٢) سنن ابن ماجه: ١/ ٦١٢.

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع جئت شرّفتَ المدينة مرحباً يا خير داع[1]

قال عثمان بن عمر: فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرّق الغلمان والخدم في الطرق ينادون:

يا محمد! يا رسول الله! يا محمد يا رسول الله[2].

أما الأنصار فكانوا يتسابقون في استضافة المصطفى ﷺ، لكن المسألة فيها سرّ آخر لخّصه لنا المعصوم صلوات الله عليه، ذلك إذا سمع من يقول بشوق. يا رسول الله، هلمَّ إلينا إلىٰ العَدد والعُدّة والمنَعَة.

كان عليه الصلاة والسلام يشير إلىٰ ناقته وهو يقول: «خلّوا سبيلها فإنه مأمورة».

وتروح الناقة وتعود، حتىٰ إذا أتت دار بني مالك بن النجار، بَرَكَت علىٰ باب مسجده ﷺ!.

أجل!

أنت روح الوجود يا أبا القاسم، فصلاة وسلام عليكَ يا سيدي يا حبيب الله:

الله بالإيمان أيّد جنده وقوافل الشهداء تُؤجر عندهُ
من ذا سوىٰ الرحمن يُغني عبده الله فوق الخلق فيها وحدهُ
والناس تحت لوائها أكفاءُ

ما لم تقرُّ به الشريعة بدعةٌ وبكلّ ما أنزلت ربي شرعةٌ
في نعمة الإسلام تهدأ روعةٌ والدّين يُسرٌ والخلافة بيعةٌ
والأمر شورىٰ والحقوق قضاءُ

---

(١) فتح الباري: ٨/ ١٢٩.
(٢) صحيح مسلم: ٤/ ٢٣١١.

وأقلـتَ يـا ربّ الخـلائـق عثـرةً ولمـن تكبّـر مـن عبـادك عُسـرةً
وجعلتـه مـن دون خلقـكَ عبـرةً داويـتَ متئـداً ودَاوَوْ طفـرةً
وأخفّ من بعض الدّواء الدّاءُ

* * *